صديق جـــديد

عن مجلة « ترو ستوري »

تطلعت من السيارة التي كنت أعمل فيها إلى أعلى ، فوجدت — مانى بيترز — وعلى شفتيه ابتسامة بريئة ، غير أن عينيه الزرقاوين — فى هذه المرة — كانتا تشعان ببريق غريب

خالط عقله مس منذ أن كان فى العاشرة من عمره ، حينما حدث أن أصابه أحد رفقائه — دون قصد بحجر . ومما يحز فى نفسى أن أقول إننى كنت أكرهه بكل ما فى هذه الكلمة من معان ، وإن كنت أدعه يعبث بأدوات السيارة التي وضعتها فى « جراج » بمدينة « جيرسى الجديدة » وذلك لمعرفتى أن جنونه من نوع غير خطر ، وأنه محتاج إلى كل ما يمكن أن يتسلى به ، ولكنه أهاجنى اليوم أكثر من أى يوم سبق ، فقد قضيت عشر دقائق فى البحث عن أداة احتجت إليها لعمل مستعجل

تذكرت أن « مانى » أمعن فى العبث أمس — كما يفعل غالبا — فكان السبب فى هذا التأخير ، فأخذت ألعن الظروف التي خلقت لى مثل هذا المأزق الحرج ، وأخيرا وجدتها

يستطيع الحدادون أن يقسموا على أن شيئا لا يزعجهم مثل اختلاف مواضع الآلات التي يضعونها فى أماكنها

لم أقل لـ « مانى » شيئا ، إذ أعرف أن نتيجة ذلك ستكون سيئة ، وأنه لا يمكنه أن يفهم حقيقة الموقف ؛ وإن فهم فلا يمكنه أن يتذكر ذلك إلا لمدة خمس دقائق . أقنعت نفسى بالتغافل عن أعماله ، وأن أستمر على عملى ، ولكن نيران الحقد ولهيب الكراهية ، جعلا منى مرجلا ثائرا

نظرت إلى يدى القويتين ، وأحببت أن أداعب بها رأس من تسول له نفسه العبث بأشياء تخصنى ، أما أن يكون هذا الشخص « مانى » فإننى لا أستطيع حتى وفهما

مضيت فى عملى وأنا جد متعجب من سكان القرية . ترى ماالذى جعل « مانى » محبوبا منهم ، وأنا أحمل له من البغض والكراهية ما ينوء تحتهما كاهلى ! وطبعا لم يكن الذنب ذنبه ، أحبه الناس أم لم يحبوه ، وشعورى بالكراهية له ناجم عن عدم الإكبار للرجال الضعفاء وغير المرغوب فيهم ، كرهى لكل عضو لا يقوم بعمله تمام القيام

تحملت منه ما لم يتحمله أهل القرية الأفانيون الذين قدت قلوبهم من الصخر ، لا يعرفون قويا ولا يرحمون ضعيفا ، وحبى له لم يكن إلا شفقة عليه ورثاء له

انتهيت من عملى ، ولم أنتبه للشخص المشرئب بعنقه ليرى ما أعمل ، مما سبب اصطدامى به ، وبعدها ألفيتنى محملقا فيه . أما هذا الشخص فكان « مانى »

تملكنى الغضب الشديد ، فصحت به : بالله ماذا جاء بك إلى هنا ؟

ودفعته دفعة قوية لأزيحه عن طريق

فتتزحزح إلى الخلف بمجرد اختلال توازنه ، وغاصت عيناه الزرقاوان فى محجريهما متعجبتين سائلتين ، ولم أكن رأيتهما على هذه الحالة من قبل

ثم اصطدم ببعض آلات مبعثرة هنا وهناك ، وسقط سقطة أفقدته الرشد

زاغت عيناى واشتد بى الخوف ، وأحسست بفيض من العواطف يدفعنى إلى مساعدته على القيام . وفجأة ، رأيتنى مادا إليه يدى أساعده على النهوض

شعرت وأنا أنحنى إلى الأسفل أن يدى قد بلتا ، ونظرت إلى الأسفل فرأيت قطرات حمرا على الأرض على بعد ست وثلاثين عقدة منى

حينئذ عرفت أن رأسه قد أصيب ببعض أدوات سيبت شج رأسه ، فظننت أنه مات ، ولكننى شاهدت صدره يعلو ويهبط فعرفت أنه لم يفارق الحياة . لم أعر ذلك اهتماماً بادئ ذى بدء ، وطمأنت نفسى بأنه لن يلبث أن يستفيق . وبرغم ما كنت

أتظاهر به من الهدوء ، كنت معتقداً أن إصابته خطيرة . سرت نحو التليفون وطلبت الطبيب قائلا : أصيب مانى ببترز — بحادث خطير فأرجو أن تأتى بسرعة . وعلقت « السماعة » ورجعت إلى — مانى — أسائل نفسى ماذا يمكننى عمله حتى يصل الطبيب . استطعت أن أقف النزيف ، ولـكننى لم أعرف ما يجب أن أعمله أيضاً . وهكذا جلست إلى جانبه منتظرا مجيء الطبيب ، محاولا جهدى ألا أفكر فيما سبب هذه الحادثة

جاء الطبيب فى وقت مناسب ومعه خمسة رجال من أهالى القرية ممن أعرفهم . لقد كانوا فى بيت الطبيب ساعة أن أخبرته بما حدث . ولما سمعوا ما قاله الطبيب عن « مانى » أتوا معه ليعرفوا حقيقة ما حدث

وكما قلت قبلا إن أهل القرية جميعهم يحبون « مانى » ما عداى فتأثروا لما أصابه

لم يتبس أحدنا ببنت شفة ، حتى فرغ الطبيب من الفحص ، فرفع إلينا وجهاً ممتقعاً ، فكان ذلك جواباً كافياً وفر على السؤال

تـكلم بهدوء قائلا : إن إصابته خطرة جدا ، فليخبر أحدكم مستشفى « آردين » ليرسلوا نقالة لحمله . ثم التفت وسألنى عن كيفية وقوع الحادثة فأخبرته بما حدث ، فأومأ برأسه ناهماً

غير أننى لاحظت الخمسة الآخرين ينظرون إلى مستغربين ، ورأيت واحدا أو اثنين — لا أتذكر — ينظر إلى متشككا

عشر دقائق مؤلمات مرت قبل أن تصل النقالة . ولم تمض دقيقة أخرى حتى كان الطبيب ومانى فى الطريق إلى مستشفى « آردين »

شعرت بحمى خفيفة ، وذهبت إلى حيث أستطيع أن أتنفس ، لأن هواء « الجراج » يكاد يخنقنى . وقبل أن أصل إلى حيث أردت ، سمعت قائلا يقول : فيلد ، دقيقة من فضلك ، لا يمكننى أن أدعك تذهب الآن

فالتفت قائلا : ولم ذلك يا جاك ؟ ألم تصدق ما أخبرت الطبيب به ؟

وظهر فى هذه اللحظة الأربعة الآخرون

— لا ، لا ، إن أحدا لم يصدق ذلك لما نعرف من مبلغ حقدك على « مانى »

تملكنى غضب مفاجئ . إنهم يظنون أننى فعلت ما فعلت عن عمد وإصرار

ظننتنى قادراً على إقناعهم بادئ الأمر بأن ما حدث لم يكن إلا مصادفة سيئة ، أما الآن فإن ذلك لا يزيد مركزى إلا حرجاً

انثنيت إلى جاك قائلا : تظننى حاولت قتل مانى ؟ أليس كذلك ؟ ! حسن ، ظن ماشئت ، فلست أبالى . والآن تفضل بالخروج وإلا أصابك ما لا يرضيك

فكان جوابه أن رفع يده وضربنى بقوة ، إلا أننى تحاشيت ضربته بحركة خفيفة من رأسى ، فاستدار حول نفسه وسقط على الأرض يتدحرج

فلما رأى الأربعة الآخرون ما حل بصاحبهم هجموا على دفعة واحدة كالذئاب الكاسرة يريدون تمزيقى . وسمعت « لودين » يقول : آه ... هل تقدر أن تفعل بنا ما فعلت بمانى . إيه ؟ حسن ، إنك لا تقدر . إننا لا نتصارع من أجل جائزة كما تفعل ، ولـكننا سنلقى عليك درسا لن تنساه مدى الحياة

دافعت عن نفسى دفاع المستميت ، ولـكن ما حيلتى إزاء خمسة رجال أشداء ؟ نعم أسقطت اثنين منهم ولـكن الباقين تمكنوا منى وضربونى ضرباً مبرحاً . وأخيراً وجدتنى ممدداً على الأرض مشرفاً على الإغماء

أذكر أننى سمعت « لودين » يتكلم بالتليفون طالباً نقالة أخرى ، وبعدها لم أكد أفقه شيئا مما يدور حولى ، إذ أن الإغماء غلبنى

فلما أفقت رأيتنى على سرير أبيض من أسرة المرضى ، ثم رأيت ممرضة منحنية فوق وكان إلى جانبها طبيب فعرفت أننى فى المستشفى . سأل الطبيب الممرضة عن حالى ، فأجابته أننى أحسن من ذى قبل . ثم التفت إلى مستفهما : ما الذى حدث ؟ !

فأجبته بصوت ضعيف : تشاجرت . ثم سألت : هل كسر شئ ؟ !

فقال الطبيب مغمغما : تشاجرت ؟ وتابع فرحا : آه ، لا ، لم يحدث شئ مما تعنى ، إنما كل ماهنالك رضوض لن تلبث أن تزول آلامها فيمكنك أن تخرج بعد يومين . ثم انصرف

أردت أن أسأل عن « مانى » ولكن حالتى كانت من الضعف بحيث لم أستطع معها أن أتكلم . سرى بى التفكير إلى الرجال الذين أشبعونى ضرباً . ومن الغريب أننى لم أشعر نحوهم بذرة من الحقد ، وكأن ما حدث لم يكن إلا خيالات وأوهاماً

غير أننى سعيد ، سعيد لأن عظامى لم يصبها عطب ، وإلا لكانت الدنيا لدى أضيق من سم الخياط . وأدركت أخيراً أن عملى كان جنونيا . ترى من يصدقنى إذا قلت إننى دفعت « مانى » دفعة لم أبغ من جرائها قتله ؟ !

وفجأة وثب إلى ذهنى خاطر أذهلنى ، واسطكت أسنانى رعبا ، وهو ما سيكون شأن الشرط معى إن ... إن هو مات ؟ !

انقبض صدرى لهذا الخاطر المروع ، وكدت أصيح بكل مانى حنجرتى من قوة . والفضل فى إنقاذى من هذا الموقف للممرضة التى دخلت فى تلك اللحظة فأزمعت سؤالها عن مانى ، قلت :

— إن لى زميلا هنا اسمه « مانى بيترز » كيف حاله ؟

فأجابتنى بصوت هادئ :

— إنه فى حالة سيئة ، وإنه الآن فى غرفة الجراحة لإجراء عملية جراحية خطيرة

فسألتها بلهفة :

— هل تدعيننى أذهب لأرى مايعملون ؟

ففغرت فاها متعجبة ، ولكنها لم تلبث أن استعادت ثباتها وتمهدت بأنها ستفعل ، وتركتنى وانصرفت

قضيت مدة أتقلب على فراش الألم خائفا مذعوراً مما سيحدث لى ولمانى . لم أكن أشتكى فى ذلك اليوم من شئ ، غير أننى كنت متزعجاً مما سيحدث لى

وفى ذلك المساء أقبلت الممرضة قائلة :

— إن الأمل فى نجاح العملية كبير جدا ، ولو أنهم لم يخبروا أحدا ، وإننا سنعرف عنها فى الصباح كثيرا

كنت أريدها أن تقول إنه سيعود كما كان دون أن يكون فى قولها هذا ذرة من الشك . لذا بقيت فى حيرة من أمرى ، مما أثر فى حالتى وأخر شفائى

وفى صباح اليوم التالى رأيت الممرضة مبكرة على غير عادتها ، فأحسست أن دقات قلبى توقفت ، وأن الدم قد جمد فى شرايينى . وتمثل أمامى بعين الخيال مانى ممددا على السرير جثة هامدة . يالله من منظر مخيف تقشعر منه الأبدان ! وسألتها : ماهذه الضوضاء ؟ هل هو مانى ! هل ... هل مات ؟

— لا ، ولكنه يسير من سيئ الى أسوأ ، وقد سأل عنك ، فهل فى استطاعتك أن تذهب إليه ؟

لم أجبها عن سؤالها ، بل أسرعت فى إلقاء الأغطية عنى ، وحاولت القيام فلم تسعفنى أعضائى المنحطة ، فجلست على مضض

حاولت أن أسترد قوتى ، غير أن رأسى كاد ينفجر فأسرعت الممرضة نحوى ، ومددتنى على السرير بهدوء ، ثم قالت بقلق ظاهر : سآتى بنقالة لحملك ، فأخبرتها أننى قادر على المشى على قدمى ، إذا هى ساعدتنى . ففعلت ، ووصلنا إلى غرفة « مانى »

انحنيت فوقه ، وسألته عن حاله ، فأجابنى ، وفى عينيه تلك النظرة البريئة الطاهرة : إن رأسى يكاد ينفجر ، ولكننى أحببت أن أراك حين علمت أنك أصبت أنت أيضا ، ورغبت أن أراك سليما معافى

شعرت بالدموع تجرى على خدى خارة غزيرة . يمكن أن يكون معتوها ، ولكننى لم أر قلبا بريئا طاهرا مثل قلبه

عرفت أنه لم يتذكر ما فعلته به ، ولا كيف كنت أعامله دائما

وشعرت لأول مرة فى حياتى منذ أن كنت طفلا ، بشوق إلى الصلاة ، فأخذت أصلى ، وأصلى بحرارة . صليت وابتهلت إلى الله ، من أجل — مانى — ليشفى ، ولأستطيع أن أدعه فى « الجراج » . وكأن دعائى أجيب ، إذ أن — مانى — ترك المستشفى بعد شهر منذ دخوله وقد عاد كما كان لم يتغير

إنه الآن يقضى جميع أوقاته إلى جانبى فى الجراج ، وإنه لم يعد يحدث لى المتاعب . إننى أرغب أن يكون دائما هناك ، لأنه يزيل وحشتى فى وحدتى ، وقد جعلنى أشعر بالشفقة والحنان لكل من يكون مفتقرا إليهما

! ؟ !

* قال الشاعر الألمانى جوته لصديقه أكيرمان *

* كل امرئ يأتى عليه حين من *

* دهره يظن فيه أن آلام *

* فرتر إنما كتبت *

* له خاصة *

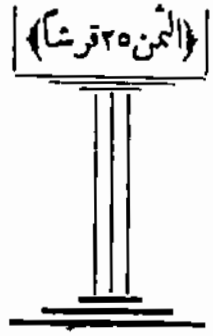

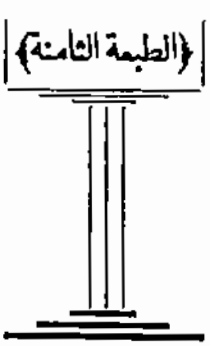

للأستاذ أحمد حسن الزيات

هى القصة العالمية الواقعية الخالدة للشاعر الفيلسوف ﴿جوته﴾ الألمانى

ثمنها ٢٥ قرشاً عدا أجرة البريد .. وهى تطلب من جميع المكتبات ومن إدارة الرسالة

ت : ٢٧٤٩٠

مطبعة الرسالة